

الفصل الثالث

الألفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة

معنى التوليد في الألفاظ ومصادره اللغوية

التوليد في الألفاظ أحد المباحث المهمة في علم المعنى ، فهناك مكانه الأصلي في دراسة اللغة بمستويات متعددة منها مستوى الدلالة ، والتوليد يتعلق بالمعاني وتطورها واحتياجها إلى ألفاظ جديدة ، لكن النظر هنا إلى قضية التوليد ، تأتي أهميته من زاوية أخرى تتعلق بالألفاظ لا بالمعنى ، فإن هذه الألفاظ المولدة ذات مظاهر فيما يتعاقب بينية الكلمات من حيث الاشتقاق أو التعريب ، واستخدام صيغ صرفية خاصة ، ومن هذه الزاوية رأى علماء اللغة في التوليد ظاهرة طارئة على اللغة ، وخضعت - بهذه الصفة - لموقف معين منهم يدخل هذا البحث عما طرأ على اللغة .

وينبغي في هذه الفقرة بيان الأمور الثلاثة الآتية :

١ - عرض تاريخي مختصر للمولد من حيث استعمال اللفظ ، ودراسة العلماء لمظاهره

٢ - التحديد النظري لمعنى التوليد كما رآه الأقدمون

٣ - مصادر التوليد في الألفاظ ، وتقديم نماذج لها

(٦٢ - المظاهر الطارئة)

أولاً : لفظة « مولد » ودراسة العلماء لنماذجها

جاء في أساس البلاغة : غلام مولد وجارية مولدة ، ولدت عند العرب ونشأت مع أولادهم ، وتأدبت بأدابهم ، ومن المجاز : ولدوا حديثاً وكلاماً ، استحدثوه ، وكلام مولد ، ليس من أصل لغتهم .

ويدل النص السابق على أن المولد قد يطلق على الأشخاص وعلى الكلام ونسبته إلى الأشخاص تعتمد على النسب والعنصر ، فمن كان نسبه عربياً خالصاً فهو عربي خالص ، ومن داخل نسبه عنصر أجنبي عن العرب فهو المولد ، ثم أصبح هذا اللفظ يطلق مجازاً - كما قال الزنجشیری - على الكلام المحدث الذي ليس من أصل لغتهم .

ومن الواضح أن اللفظ أطلق أولاً على الأشخاص الذين وجدوا بين العرب الخالص ثم اتسع استعماله فأطلق على الكلام المحدث الذي ليس من أصل لغة العرب ، وإنما هو كلام جديد شاع في المجتمع العربي مع ازدياد مخالطة الأجانب ، فكثر العنصر المولد ، وقل العنصر العربي الخالص النسب .

ذلك أن الأجانب وجدوا بين العرب في الجاهلية ثم ازداد اختلاط العرب والأجانب في الإسلام بفعل الدين الجديد والحروب والتجارة ، وفي القرن الأول شكل الإحساس بالخطر من هؤلاء الأجانب على العنصر العربي ولغته مشكلة ، اشترك في مقاومتها رجال الدولة الأموية وعلماء اللغة ، أما في القرن الثاني فقد تطورت العلاقة بين العرب والأجانب ، وكون الآخرون عنصراً غالباً سيطر على الدولة ، وأصبحوا أشد تأثيراً في اللغة ، مما ترتب عليه منع الاستشهاد بلغة الحضر بصورة نهائية ؛ لكثرة المولدين بين العرب وشيوع الكلام المولد في حديث الناس عامة وخاصة .

ومن الصعب على الدارس أن يحدد بدقة متى بدأ استعمال لفظة «المولد» وكيف تطور هذا الاستعمال كما أشار إليه الزحشرى ، لقصور دراستنا في الحقل اللغوى التاريخى عن أداء هذه المهمة حتى اليوم ، وغاية مايستطيعه الدارس لذلك أن يلتقط بعض النصوص المتناثرة التى تفيد في تقريب ذلك .

وأول نص علمى قديم - فيما أعلم - عن المولد من الكلام ما رواه «ابن رشيق» منسوباً إلى أبى عمرو بن العلاء وهو :

• قال أبو عمرو : لقد أحسن هذا المولد ، حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته - يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق - فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهليين والمخضرمين ، وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن ، فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح ، فهو من عندهم ، ليس النمط واحداً ، ترى قلعة ديباج وقطعة مسح ، وقلعة نلع^(١) .

فهذا اللفظ - إن لم يجانبني التوفيق - قد استعمل في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثانى مراداً به من اختلطت أنسابهم أو ما قيل من الكلام العربى فى المجتمع العربى الذى كثر فيه هؤلاء المهجنون ، ثم اطرده استعمال هذه اللفظة فى القرن الثانى مع وجود لفظة أخرى إلى جوارها هى لفظة «محدث» مراداً بها أيضاً الناس أو الكلام ، وهو معنى اللفظة الأولى .

أما قبل ذلك فلم يكن استعمال اللفظ «مولد» شائعاً بين الناس ولا العلماء والذى يصادفنا فى الروايات العلمية عن القرن الأول الهجرى ألفاظ أخرى قريبة الصلة باللفظة «المولد» مثل «الأنجمى والمولى والأجنبي» وهذه مناسبة للفترة التى شاعت فيها ، إذ لم يكن الأجانب قد تم اندماجهم بالعرب بالصورة

التي حدثت في نهاية القرن الأول وبداية الثاني ، مما أنتج المولدين من الأشخاص والكلام .

وتتردد الكلمة بعد ذلك بكثرة بين علماء القرن الثاني والثالث ومن بعدهم - ولنتأمل النص التالي عن الأصمعي :

- روى أبو حاتم : قال الأصمعي : وعمر بن أبي ربيعة مولد وهو حجة سمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج في النحو بشعره ، ويقول : هو حجة - وفضلة ابن شريك الأسدي وابن الرقيات هؤلاء مولدون ، وشعرهم حجة - ورأيت طعن في الأقبشر ، ولم يلتفت إلى شعره ، وقال : لا يقال إلا (رجل شرطى) قلت : قال الأقبشر :

إنما يشرب من أموالنا فاسألوا الشرطى ما هذا الغضب

قال : ذلك مولد^(١) .

هذا . . . والحديث عن الاستشهاد بكلام المولدين يدخل ضمن الحديث عن الاستشهاد بكلام الموالي عامة - وليس هذا موضعه - أما الذى نحن بصدده فإنه يتعلق بظاهرة خاصة من كلام المولدين هى : الالفاظ التى ترد فى معاجم اللغة وكتب اللحن والتعريب ، ثم يحكم عليها بأنها «مولد» ولا يقتصر على ذلك فقط ، بل يتردد معه أحياناً القول بأنه ليس من كلام العرب وأنه خطأ - كما فى النموذجين التاليين .

- الكشف خنة : مواد ، وليست بصحيحة .

• التحرير : ضد البليد ، وكان الأصمعي يقول : التحرير ليس من كلام العرب ، وإنما هي كلمة مولدة (١) .

فهذا النوع من الألفاظ التي يحكم عليها بأنها مولدة ، مع الحكم عليها أحياناً بما يخرجها عن كلام العرب بل عن الصواب كلية هي موضع النظر هنا .

هذا .. ومن المفيد أن يعلم أن المولد من الألفاظ لم ينفرد في الغالب الأعم بكتب لدراسته خاصة — عدا ما ذكر عن دكراع النمل المصري ، أنه ألف كتاباً في المولد وهو مفقود — بل ذكرت أمثله متناثرة بقلة في معاجم اللغة ، وبكثرة نسبية في كتب لحن العوام وكتب المغرب والدخيل ، ولعل ذلك يرجع إلى أن استقصاء ألفاظ التوليد مع تعدد مصادرها المتسعة — كما سيأتي — لا تحد ولا يحيط بها العد ، ولذلك اقتصر على ذكر المهم منها عرضاً في الكتب التي تناولت بعض الظواهر اللغوية الخاصة بالطائفة على اللغة كظاهرة اللحن والتعريب .

ثانياً : التحديد النظري لعنى التوليد في آراء الأقدمين

— قال السيوطي : هو ما أحدثه المولدن الذين لا يحتج بكلامهم ، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح ، وهذا بخلافه — وفي مختصر العين للزبيدي : المولد من الكلام المحدث — وفي ديوان الفارابي : يقال هذه عربية وهذه مولدة — قال في الجملة : الحسين الذي ترمى به هذه السهام الصغار مولد ، وقال : كان الأصمعي يقول : التحرير ليس من كلام العرب ، وهي كلمة مولدة ، وقال : الحتم . القوصرة يجعل فيها التبن لتبيض فيها الدجاجة ، وهي مولدة (٢) .

(١) انظر : المغرب من الكلام الأعجمي ص ٢٨١ — ٢٣١ .

(٢) المزهر ١/ ٣٠٤ .

— أورد المحبى عن ثعلب أنه سئل عن التغيير فقال : هو كل شىء (١) مولد ، ثم قال : وهذا يقتضى أن كل لفظ كان عربى الأصل ، ثم غيرته العامة بهمز أو تركه أو تسكين أو تحريك ونحو ذلك مولد (٢) .

• وفى الطراز المذهب : هو ما أحدثه المولدون ، وقيل : كل لفظ عربى غيرته العامة (٣) .

• وفى الاشتقاق والتعريب : ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام ، وإنما استعمله المولدون ، وجروا عليه فى منشورهم ومنظومهم (٤) .
ويلاحظ على هذه التعريفات النظرية السابقة ما يلى :

١ — أن بداية الحديث عن ذلك نظرياً كان من علماء القرنين الثالث والرابع فى فترة المراجعة لكل ما تقدم من آراء متناثرة فى دراسة اللغة ، كما هو واضح فىمن ورد ذكره فى النصوص « ثعلب والزبيدى والفارابى اللغوى ،

٢ — أن علماءنا الأقدمين — فيما يبدو — لم يتفقوا على اتجاه واحد فى تحديد معنى المولد ، فهو عند بعضهم : المحدث ، وعند الآخر : التغيير ، وعند ثالث : شىء عام ، إذ يقال هذه عربية ، وهذه مولدة ، وعند رابع : كل لفظ عربى غيرته العامة .

٣ — أن الألفاظ التى استعملت فى تعريف المولد ألفاظ فضفاضة

(١) مجالس ثعلب ص ٨٠١ .

(٢) قصد السبيل فيما فى اللغة العربية من الدخيل ص ١٧ .

(٣) الطراز المذهب فيما فى اللغة من العرب ص ٨ .

(٤) الاشتقاق والتعريب ص ٦٢ .

عامة الدلالة ، وهى بذلك معرضة للأخذ والرد فيما يتعلق بالتحديد الحاسم للمولد من الألفاظ وغير المولد منها .

٤ — الذى يفهم من هذه الآراء كلها أنها تدور حول أمرين :

أولهما : أن المولد هو التغيير عامة سواء فى ذلك ما يشمل الألفاظ المحدثه بما لم يستعمله العرب — فى رأيهم — أصلاً أو الألفاظ والتراكيب التى استعملها العرب ، ثم غيرت باستعمال المولدين والعوام — وهذا واضح فى رأى ثعلب (ت ٢٩١) الذى سئل عن التغيير فقال : هو كل شيء مولد . وثانيهما : أن المولد هو المحدث من الألفاظ الذى لم يستعمله العرب ، فالألفاظ المولدة ألفاظ جديدة أحدثت بعد عصر الاستشهاد فى الحضر ، وهذا واضح فى رأى الزبيدى (ت ٣٨٠) الذى تابعه فيه السيوطى ، ووضع فكرته له .

وقبل هذين الرأيين يلاحظ أن جيل الأصمعى من العلماء لم يكن يعنيه التقعيد النظرى للمولد ، بل يحكم على الأمثلة من خلال علمه بكلام العرب ؛ إذ يقول الأصمعى — فيما نقله السيوطى — التحريز ليس من كلام العرب ، وهى كلمة مولدة — ثم يتوقف .

وبعد هذين الرأيين نلاحظ أن اللغويين المقلدين فى العصر الحديث لا يخرجون عنهما ، إذ يورد صاحب الطراز المذهب — القرن الثانى عشر — كلا الرأيين دون تعليق ، كما يورد المغربى فى « الاشتقاق والتعريب » رأى الأخير فقط ، فالمولد فى نظره : ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام ، وإنما استعمله المولدون وجروا عليه فى منشورهم ومنظومهم .

٥ — والذى فهمته من تلك الآراء النظرية ومن الأمثلة التى صادفتها عن الألفاظ المولدة والتعليق عليها ، أن الأمر قد تندرج كالاتى :

في القرن الثاني وجه العلماء — كالأصمعي — همهم للتعليق على الأمثلة المتناثرة لبيان أنها مولدة ، وليست من كلام العرب ، كما وجه الاهتمام نفسه لأمثلة أخرى توصف باللحن أو التعريب .

وفي القرن الثالث ، فهم كل تغيير على أنه مولد ، نسبة للمولدين الذين لم يكونوا خالصي النسب ، وفي تلك الفترة وجه اهتمام لهذا التغيير بصورة عامة ، وخصوصاً باهتمامهم اللحن في بنية الكلمات أو تأليف الكلام ، فشمل ذلك أيضاً التغيير الآخر الذي يأتي من إحداث ألفاظ جديدة ، وكثرت كتب اللحن في القرن الثالث بما توجه إليه أساساً من الخطأ في الكلام العربي وبما تشمله أيضاً من الألفاظ المستحدثة على قلة ، ويشار إليها بلفظة «مولد» ومثل هذا الرأي نظرياً أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

وفي القرن الرابع خصص العلماء نظرياً المولد بأنه «الألفاظ المحدثه» وإن كان عملياً لم يخرج قبل ذلك عن هذا المفهوم لا في القرن الثاني ولا في القرن الثالث ، وإن دخل مع غيره تحت مفهوم «التغيير العام» في القرن الثالث .

ومع كل ذلك ، فإن «المولد» من الألفاظ لم يلق عناية خاصة من العلماء توجه للتأليف فيه ، فبقيت أمثله متناثرة بين كتب تناولت ظواهر لغوية متخصصة كاللحن أولاً ، ثم التعريب ثانياً .

ثالثاً : مصادر المولد والتمثيل له

تتلخص مصادر التوليد عن طريق ملاحظة كلماته في الأمور الآتية :

١ — الارتجال بالاشتقاق .

٢ — التعريب بعد عصر الاحتجاج .

٣ — التحويل من المعنى اللغوى إلى معنى آخر مولد .

ومن الحق أولاً أن يقال : إن الناس العاديين الذين استعملوا المولد لم يعرفوا اشتقاقاً ولا غيره ، ولم يكونوا يقيسون الأمور بمقاييس الصرف وتقنين الكلام ، بل إنهم يمارسون الكلام دون بحث عما وراء ذلك ، وبملاحظة ظاهرة التوليد في الألفاظ التي حدثت دون قصد يمكن تصنيفها في الأمور الثلاثة السابقة .

فأما الارتجال بالاشتقاق ، فعناء أن يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان ، لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ، ولم يشتقوها ، فهي إذن كلمة جديدة على الكلام العربى المتوارث .

وإذا صح أن نذكر سمات معينة لذلك الذى تم عن طريق الاشتقاق فإنه يلاحظ فيه الآتى :

(أ) استخدام النواة الدلالية أو حروف الأصول ، فمثلاً كلمة « فسقية » - مولدة ، ومادة (ف.س.ق.) موجودة في اللغة من قبل بمعنى : الخروج .

(ب) مجيء كلمات على الصيغ الصرفية ذات المعانى ، مثل كلمة (حرّار) لبائع الحرير ، فهي كلمة - كما يقول الخفاجى - مولدة ، وقد جاءت على صيغة (فعّال) التى تدل على النسبة ، لكن العرب لم يستعملوها من قبل .

(ج) استخدام حروف الزيادة ذات المعانى ، فالألف والنون مثلاً تدل على المطاوعة ، ومن ذلك الكلمات المولدة (انكسار الضوء وانعكاسه)

(د) وسائل تعديل الصيغ في اللغة العربية ، كالهزمة والتضعيف والتصغير ، ومن ذلك الكلمات المولدة (الإبراء والغرغرة والجديرى)

وقد لعب «التوليد بالاشتقاق» دوراً مهماً بوسائله السابقة في أسماء الفرق الدينية وآراتها، كما يلاحظ من الكلمات الآتية :

الثنوية - القدريّة - الشعبيّة - الخوارج - المعطلة - الغلاة - المشبهة -
المرجئة - التصوف - التشيع - الرافضة - الزندقة - وكذلك لعب دوراً بأمثالا
في أسماء العلوم ومصطلحاتها .

أما «التعريب بعد عصر الاحتجاج» فيقصد به أن ينقل المولدون كلمة من
لغة أجنبية إلى اللغة العربية ، وتختص باسم « مولدة » للفرقة بينها وبين
الكلمات التي عربها العرب أنفسهم .

من ذلك مثلاً - كما يقول الجواليقي - كلمة (قطربل) فهي كلمة أعجمية
وليس لها مثال في كلام العرب ، ولا توجد في الشعر القديم ، وإنما
ذكرها المحدثون .

ومن ذلك - كما يقول الخفاجي - كلمة (شاش) معروف ، يلف على الرأس
وبعد اللف يسمى عمامة ، وهو مولد منقول من اللغة الهندية .

أما «التحويل من المعنى اللغوي» فيقصد به أن يكون للكلمة معنى معين
استعملت به عند العرب ، ثم حولها المولدون عن هذا المعنى إلى معنى آخر
واستعملوها فيه .

ومن ذلك مثلاً كلمة (منخطف اللون) لمن تغير لونه بسرعة ، فكأنه
خطفه خاطف ، والعرب لم تقله ، وإنما ولده المولدون .

وإذا لوحظ أن هذا المصدر الأخير يتعلق بتطور معاني الكلمات ،
وأن هذا التطور في حركة دائبة لا تتوقف ، اتضح أن هذا المصدر من مصادر

التوليد يصعب إحصاء الكلمات الناتجة عنه ، ومع ذلك فقد أورد العلماء بعض نماذجها فيما ذكروه من نماذج التوليد المتناثرة .

وسأقدم هنا عشر كلمات من المواد فقط ، ومن كتاب واحد هو (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل) مرتبة حسبما وردت في ذلك الكتاب ، مع ذكر تعليق «الخفاجي» عليها ، لربطها بعد ذلك بمصادر التوليد السابقة ، وهي .

١ — بطاقة : بمعنى رقعة صغيرة ، مولدة ، وجاء في فقه اللغة . أنها معربة عن الرومية .

٢ — الجريدة : دفتر أرزاق الجيش في الديوان ، وهو اسم مولد .

٣ — شراقي : التثريق عند أهل مصر ألا تسقى الأرض بماء النيل والأرض يقال لها شراقي ، هي مولدة ، مأخوذة من التثريق ، بمعنى التقديد لأنها متقدمة .

٤ — طابق . قال : أطال الله بقاءك ، وهي مولدة .

٥ — فوارة الماء : معروفة ، وهي مولدة ، قال الشريف العقيلي .

من حول فوارة مركبة قد انحنى ظهر ماؤها تعباً

٦ — فذلكه : لفظة مولدة ، سمعتها ، وعرفت معناها .

٧ — قصف : بمعنى اللهو ، استعمله المولدون في أشعارهم ، وأصل معناه : كسر غضن صغير .

٨ — كيمياء : لغة مولدة من اليونانية ، وأصل معناها : الحيلة والخلق .

٩ — ماهية : بمعنى الحقيقة ، نسبة إلى (ما هو ١٤) مولدة ، لم تسمع .

١٠ — مقامة : مولدة محدثة ، لم تقع في كلام أحد من المتقدمين ، لكن

لها وجه من المجاز ، حيث سموا ما يقام في المجلس من حديث (مقامة)^(١) .

وبملاحظة الكلمات العشر السابقة والتعليق عاينها يتبين أنه يتمثل فيها مصادر التوليد الثلاثة السابقة كلها ، وقد يجتمع في كلمة واحدة أكثر من مصدر واحد ، كما في كلمة (شراقي) ففيها الاشتقاق والتحويل .

فالاشتقاق واضح في الكلمات المولدة (شراقي - طليق - فوارة - فذلكه ماهية)

والتعريب واضح في الكلمات المولدة (بطاظة - جريدة - كيمياء)
والتحويل عن المعنى بين في الكلمتين (قصف - مقامة)
وليس ثمة داع ماس لتفصيل الكلام في كل كلمة على حدة .

وبعد :

فقد تكفلت هذه الفقرة ببيان ما يتعلق بالتوليد من حيث معناه ومصادره الدراسية واللغوية .

أما ما يتعلق بنظرة علمائنا الأقدمين له من حيث القبول والرفض فهو موضوع الفقرة التالية إن شاء الله .

(١) انظر : « شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل » الصفحات الآتية على التوالي :

٣٦ ، ٦٢ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٨٩ .

نظرة النحاة للتوليد

قبل الحديث المباشر عن نظرة النحاة للمولد ينبغي التنبيه إلى الأمور الآتية :

أولاً : التفريق بين المولدين والاستشهاد بشعرهم في دراسة اللغة ومستوياتها المختلفة وبين ما نحن بصدده من الحكم على ظاهرة خاصة هي الألفاظ التي يعقب عليها بكلمة « مولد » أو « مولدة » ،

والأمر الأول موضعه الاستشهاد باللغة ، ويحتاج إلى تفصيل واسع خلاصته أن علماءنا الأقدمين قد نظروا إلى المولدين عموماً بشك وريبة ، وترتب على ذلك المبالغة في التصون من كلامهم ، واعتمدوا في هذا التصون على التحديد الزمني الذي اختلف مداه بين التشدد التام والتسامح النسبي ، فأبو عمرو ابن العلاء كان لا يحتج ببيت إسلامي قط ، واشتهر عنه قوله « لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صدياننا بروايته ، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق ، فالشعر الجاهلي وحده هو الجدير بالعناية والدراسة لديه ، وما عداه مرفوض ، أما الأصمعي وغالبية العلماء فقد تسامحوا نوعاً في نظرهم للتحديد الزمني ، وعلى ما هو المشهور عنهم قبلوا ما جاء من مادة اللغة حتى حوالى منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً ، وشملت هذه الفترة بالطبع كثيراً من المولدين الذين روى العلماء شعرهم ، واعتبروه حجة ، كما يوضح ذلك النص الآتي :

• عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : عمر بن أبي ربيعة مولد ، وهو حجة ، وسمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج في النحو بشعره ويقول . هو حجة .
وفضلة بن شريك الأسدي وابن الرقيات ، هؤلاء مولدون ، وشعرهم حجة (١) .

(١) فحولة الشعراء ، ص ٣٩ .

ثانياً: إن النظرة التي نرصدها هنا تتعلق بالألفاظ المولدة من حيث صيغها لا من حيث معانيها ، فقد قبلت الألفاظ المولدة من حيث المعنى ، لكنها رفضت من حيث النظرة اللغوية ، وترتب على ذلك أن تعتبر السكامة فصيحة لكنها مرفوضة لغوياً ، لأنها مولدة ، وأن تدرس في الأدب ، لتعبيرها عن المعنى ، لكنها تعارض في دراسة اللغة ، لأنها ليست من كلام العرب .

* كان الأصمعي يقول: التحرير ليس من كلام العرب ، وإنما هي مولدة ، وقد جاء في الشعر الفصيح ، قال الأسود بن يعفر :
يوم لا ينفع الرواغ ولا يقدم إلا المشيع التحرير^(١)
• وقال ابن جني : المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المقدمون^(٢) .

ثالثاً : إن نظرة علمائنا الأقدمين للمولدين من حيث القبول والرفض لم ترد عنهم - فيما أعلم - بصراحة وحسم ، وبعبارة أخرى : لم يدرس التوليد في الألفاظ - حتى عند المتأخرين - باعتباره موضوعاً متكاملاً يتبين منه موقفهم المباشر منه ، والذي جاء عنهم في ذلك الموضوع تعليقات قصيرة متفرقة على بعض الأمثلة المتناثرة التي تذكر في المعاجم أو كتب اللحن والتعريب .

لذلك ، فإن رصد موقفهم من الألفاظ المولدة يعتمد على هذه التعليقات وتجميعها - وقد تبين منها أنهم حكموا عليه بالآتي :

١ - الألفاظ المولدة ليست من كلام العرب

٢ - بعض الألفاظ المولدة خطأ

(١) العرب من الكلام الأعجى ص ٣٣١ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٤ .

وينبغي تقديم نماذج تثبت هاتين الفكرتين أولاً ، لمعرفة المستوى الصوابي لنظرتهم أخيراً .

وقبل عرض هذه النماذج ينبغي أيضاً التنبيه إلى أن معظم أمثلة المولد مسكوت عن التعليق عليه فيما يختص بالفكرتين السابقتين ، وهذا المسكوت عنه لا يثبت حكماً ولا ينفيه ، إذ يقتصر وروده على أنه مولد فقط ، وعرض أمثلة منه أمر سهل ، ولكنها لا تفيد كثيراً في معرفة نظرة العلماء إليه ، ولذا كان من الأفضل الاقتصار على إيراد نماذج من الأمثلة التي ذكرت معها آراء العلماء حول الفكرتين السابقتين لإثباتهما .

المجموعة الأولى

- ١ — قول العامة : هم فعلت مكان أيضاً ، وبس مكان حسب ، وله بخت مكان حظ ، كله مولد ، ليس من كلام العرب ^(١) .
- ٢ — أطراف : جمع (طرف) بالسكون مولد ، وإنما هو جمع (طرف) بالفتح .
- ٣ — قال الخليل : الطرف لا يثنى ولا يجمع ، لأنه مصدر (طرف) إذا حرك طرفه ، وفي الفائق . أنه لم يرد به سماع ^(٢) .
- ٢ — التشويش : شوش بمعنى خلط ، وأجمع أهل اللغة على أن التشويش لا أصل له في العربية ، وأنه من كلام المولدين ^(٣) .
- ٤ — الأنانية : هي اختراع محض لا أصل لها ^(٤) .

(١) ذيل الفصيح ، ص ١١٦ .

(٢، ٣) شفاء العليل ص ١٤ — ١٥ .

(٤) لذيبي . على غلط الجاهل والنبه ، ص ١٢ .

فالعبارات التي وردت مع هذه الأمثلة بعد الحكم عليها بأنها «مولد» هي «ليس من كلام العرب» و«لم يرد به سماع» و«لا أصل له في العربية» و«اختراع محض لا أصل لها» يفهم منها أن كلام العرب صاحب الأصل الذي ورد به السماع قد استند تحديده على عرف علمي اعتمد على زمن محدد في الحضر، وأن هذا الزمن الذي امتد إلى حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى على ما هو المشهور - قد وقف حاجزاً علمياً يجعل ما وراءه من كلام العرب، وما يأتى بعد ذلك ليس من كلامهم، وهو اختراع محض لا أصل له .

المجموعة الثانية

— الطرش : ليس بعربى محض ، بل هو من كلام المولدين ، وهو بمنزلة الصمم عندهم^(١) ، قال أبو حاتم : لم يرضوا بالكسنة حتى صرفوا له فعلاً ، فقالوا : طرش يطرش طرشا .

٢ — الكشخنة : مولدة ، وليست بصحيحة^(٢) .

٣ — وتقول : (هذا جواب كثير)

قال العسكري : والعامة تقول فى جمع الجواب جوابات وأجوبة ، وهو خطأ لأن الجواب مثل الذهاب .

وقال سيديويه : الجواب لا يجمع ، وقولهم : جوابات كثير وأجوبة كثير مولد ، وإنما يقال : جواب كثير^(٣) .

٤ — وتقول : شوشت الشيء إذا خلطته ، فأما التشويش فأجمع أهل اللغة أنه لا أصل له فى العربية ، وأنه مولد ، وخطأوا الليث فيه^(٤) .

(٢،١) العرب من الكلام الأعجمى ص ٢٢٤ - ٣٨١ .

(٣) تقويم اللسان ورقة ١١ .

(٤) ذيل الفصيح ص ١٠٨ .

هـ - انخفض وانقرأ وانكتب : مستحدث ، استحدثه المولدون بما لا يعتد بوجوده ولا يعبأ بكونه^(١).

فقد وصفت الكلمات المولدة السابقة باللكنة أو عدم الصحة أو الخطأ، أو أنها بما لا يعتد بوجوده ولا يعبأ بكونه، وكلها تدور حول معنى الرفض والتخطئة - والدارس في ذلك أمام احتمالين :

أولهما : أن الحكم بالتخطئة على بعض الألفاظ المولدة خاص بتلك الألفاظ وحدها ، ويترتب على ذلك أمر آخر هو : أن من الألفاظ المولدة ما هو خطأ كالنماذج السابقة ، وما هو صحيح ، وهو ما لم يصرح بشيء عنه .

وثانيهما : أن الحكم على بعض نماذج المولد بالخطأ ينصب أيضاً على المسكوت عنه ، مع تخصيص المقصود من الخطأ في عرف علماء اللغة بأنه الخطأ الذي يخرج المولد به عن كلام العرب الذي يصح الاحتجاج به ، وإن كان المولد بذلك الاعتبار لا يخرج عن صحة الاستعمال في التعبير عن المعاني عند المتأخرين .

وليس لدى من الأدلة الحاسمة ما أرجح به أحد الاحتمالين ، وإن كنت أميل إلى الاحتمال الثاني اعتماداً على أن علماءنا قد أخرجوا المولد من الكلام العربي في تعريفهم النظري له ، وفي نصهم على ذلك في بعض أمثله ، ولما هو معروف عنهم من اعتمادهم على التحديد الزمني الذي بمقتضاه رفض ما جاء بعد ذلك من الظواهر اللغوية الجديدة ومنها المولد .

(١) سهم الألفاظ في وهم الألفاظ ورقة هـ .

أخيراً

نتساءل عن الأساس الذى وجه نظرته للمولد من الألفاظ فأخرجوه به عن كلام العرب وحكمرا على بعضه بخلأ الاستخدام فى دراسة اللغة ، إنه باختصار (التحديد الزمنى المعتمد على عرف العلماء لا الاستعمال اللغوى المعتمد على عرف المتكلمين) هذا هو الأساس !! .

أما مدى توفيقهم فيه ، فله موضع آخر فى الفقرة التالية إن شاء الله .

الألفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة

اختلف موقف علمائنا من الألفاظ المولدة بين الاعتراف بفصاحتها ورفض الاستشهاد بها أو الاعتراف بمعانيها واستخدامها في الأدب والانصراف عن بنيتها ودراستها في اللغة ، مما قرره ابن جني نصاً بقوله : « يستشهد بشعر المولدين في المعاني ، كما يستشهد بشعر العرب في الألفاظ » . وقد اتخذ تقييد عصر الاستشهاد وعدم الاعتراف بتطور اللغة الأساس الذي حركن إليه الأقدمون في إخراج هذه الثروة الجديدة من الألفاظ عن كلام العرب ، وعدم السماح لها بالدخول إلى الدراسة ، وبقيت حتى اليوم مشتتة تائهة في مصادر اللحن والتعريب والمعاجم ، موسومة بتلك السمة العنصرية « مولدة » ، فما رأى في هذا الموضوع من وجهة النظر الحديثة ؟ ! يتضح ذلك ببيان الآتي :

(أ) الألفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة

(ب) الرأي في موقف النحاة من هذه الألفاظ الجديدة .

إن تأمل المصادر اللغوية لتوايد الألفاظ من « الارتجال بالاشتقاق والتعريب بعد عصر الاستشهاد وتطور دلالة الألفاظ » - سبق عرضها في الفقرة الأولى - يتضح منه ما نحن بصدده من حاجة الناطقين بالعربية إلى الألفاظ الجديدة واللجوء في ذلك إلى وجوه مشروعة - وإن كانت غير متممة - لسد حاجتهم منها ، وتغير الظروف الاجتماعية الدائم ينعكس تأثيره على اللغة واستخدامها ، فتزوى ألفاظ لم يعد ثمة حاجة إليها ، وتجدد أخرى في الاستعمال لدواعي الظروف الجديدة إليها ، ويتم كل ذلك بطريقة تلقائية

مستمرة ، تماماً كما يتم التغيير في كل المظاهر الاجتماعية الأخرى .

والباحث في اللغة - من وجهة النظر الحديثة - يعترف بالتطور باعتباره مظهراً اجتماعياً يحدث للغة كما يحدث لغيرها ، وينظر إليه بهذا الاعتبار ، فيلاحظه ويصفه ، ويصل من ذلك إلى معرفة ما جد من عناصر التطور في مرحلة من مراحل اللغة عن مرحلة أخرى ، وليس من عمل الباحث أن يقف بدراسته عند فترة معينة ، يحتنى بلغتها ، ويرفض غيرها ، معتقداً أن ما احتفى به هو الصحيح الجدير بالدراسة ، وأن غيره مما لم يسر على نهجه مخالفات ينبغي وسما بهذه الصفة ، فهي مخالفات حقاً إذا وضعت في ضوء مسلك اللغة في مرحلة سابقة ، لكنها بالقياس إلى عصرها ذات قيمة متميزة لا تقل في تمثل المستوى الصوابي له عن غيرها من العصور .

وعلى ذلك ، فإن موقف النحاة من الألفاظ المولدة قد تحكمت فيه اعتبارات سلخوا بها ، ثم استسلخوا لها ، وهي اعتبارات تعود إليهم ، من تنصيب أنفسهم سلطة تبيح وتمنع ، مع أن عملهم الحقيقي هو الوصف والاستقراء ، كما تعود إلى تعلقهم بربط اللغة المثالية بعصر خاص ، مع أن واقع الأمر أنها ترتبط بالاستعمال وحاجات المجتمع في كل عصر على أفراد ، وينبغي النظر إليها بهذه الصفة بدون تفضيل عصر على عصر آخر بالقبول والرفض ، وهي أخيراً ترتبط بفكرة الربط بين نقاء العنصر ونقاء اللغة ، فقد وثقوا الأعراب بعد وقف الاستشهاد بالحضر حتى القرن الرابع ، ورفضوا الاعتماد على المولدين في هذا العصر نفسه ، فكل هذه الاعتبارات غير مقنعة لغوياً ، وقد وجهت نظرهم في رفض الألفاظ المولدة .

● يقول برجشتراسر : الذي منع علماء الشرق - مع بذل الجهد العجيب - في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات - عن

الاعتناء السكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام سيديان مرتبطان
أحدهما بالآخر :

أولهما : مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده ، وعلى المنع عن
كثير من العبارات ، وهذا وإن كان واجباً نافعاً ، فهو عمل المعلم لا العالم ،
فالعالم يفحص عما يكون في الحقيقة لا عما كان ينبغي أن يكون ، والمعلم
لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة ، فإن نسي هذه النصيحة واجتهد أن يقهر
حياة اللغة ويعوقها ، جازته وغفلت عن تعليمه ، فيتسع إذن الشق الحاجز
بين اللغة الحقيقية الحية وبين ما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك في تاريخ
اللغة العربية .

والسبب الثاني : اعتقاد علماء الشرق أن أكمل ما كانت عليه اللغة
العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد في الشعر القديم ، وهذا حكم غير
علمي (١) .

أجل . . هذا حكم غير علمي ، يتجاوز موقف العلم إلى موقف التعليم
ويحاول قهر حياة اللغة والتغافل عن تطورها ، فتجزئه وتغفل عن تعاليمه
ولا تعترف في سيرها المستمر بما اعتنقه النحاة عن عصر آخر من السكال
والإتقان والحسن ، وهذا الحكم غير العلمي هو الذي طبقه النحاة على
المولد من الألفاظ لغريباً ، وهو الذي يفسر تلك المفارقة التي وردت
عنهم في الاعتراف بفصاحة المولد دون حجيته في الاستشهاد ، والاعتراف
بمعانيه دون صيغته ، واستخدامه في الأدب دون دراسة اللغة . . أليس
هذا غريباً !!

إن واجبنا الآن أن نرد لما أطلق عليه النحاة « المولد » قيمته اللغوية باعتباراه جانباً مهماً من مظاهر تطور الفصحى ، وسدياننا لذلك جمع شتاتيه من مصادره مرتبة بحسب عصور الفصحى ، ثم استقرأ بلية الكلمات فيه ، لمعرفة ما جد من تطور على مسلك الصيغ العربية بسببه ، مع إباحة مصادر التوليد الغنية في استخدام كلمات جديدة في وقتنا الحاضر ، كما اعترف الأقدمون أنفسهم بذلك في المعاني ودراسة الأدب ، فسارت دراستهم في طريق طبيعى مفيد ، لم يتح مثله لدراسة اللغة حتى اليوم .